

الإيمان بالقضية... الدكتور عبداً الحامد مثلاً



بقلم: خلود العنزي...

في كل عام يوافق فيه الثالث والعشرين من شهر أبريل، تجتاحني غصة وتعبير عيني غيمة من الدموع حين استحضرت كيفية رحيل مناضلنا العظيم أبو الإصلاحيين الدكتور عبداً الحامد- طيب الله ثراه- في ذكرى رحيله الخامسة التي تمرّ عليّ أنا شخصياً وكأنها للتو قد وقعت وحلّت تلك المصيبة التي هزت قلوب النشطاء.

في مثل هذا اليوم أكثف الاطلاع على أعماله، محاضراته، أقرأ كتبه أكثر من مرة وكأنني أجد له العهد بالسير على نفس الطريق، وأستمر لأيام طوال.

الدكتور عبداً الحامد -رحمه الله- كان مناضلاً استثنائياً نفخر به فخر الشعوب بمناضليها في جميع أنحاء العالم، ذلك الفخر الممتد إلى آخر ناشط ومناصر للعدالة في كل مكان على هذه الأرض ومحِب لرموز الإصلاح عبداً الحامد هو أيقونة النضال.

الدكتور عبداﷻ الحامد لم تكن تنقصه المكانة الاجتماعية ولا الوظيفة المرموقة، فهو البروفسور الذي عمل محاضراً في الجامعة، الذي كان يعلم بعواقب إقدامه وثمان وقوفه أمام سلطان جائر، هو لم يكن يعلم فحسب بل أنه كان مستعداً لتقديم كل غالٍ ونفيس في سبيل ما يؤمن به من ضرورة التصدي للاستبداد وأهله الذي سلب الحقوق ونهب المال العام ونشر الفساد، الراحل الحامد خسر منصبه، فمثله أمّة برجل ورجل بأمّة، لا يرغب به المستبد معلماً للأجيال ينشر الوعي بالحقوق ويحث على الجهاد السلمي، يرى بمثله شراً وخطراً يهدد وجوده، الحامد ضحى بحرية جسده بينما كان حُرّاً لو وُزعت حريته على كافة الشعب لكفتهم وفاضت، إنما الحرية حرية الروح والشعور والوجدان والضمير، مع ذلك اختار النضال مع علمه بنهاية المطاف ألا وهو الزج به في السجن ومآلاته، وصولاً إلى تقديم الروح ثمناً لكلمة حق، وهذا ما حدث فعلاً إذ فاضت روحه الطاهرة بعد ما تعمدت السلطات السعودية إهماله طبياً في السجن بعد ما عذبتة وحاولت أن تنال منه.

كان يعلم بكل ذلك وهو الذي قال " وإن قُتِلَ المجاهد المدني شهيداً، لم يُقتل بين عشية وضحاها، لن يُقتل حتى يصابر على ما في السجن من تعذيبٍ وتضييق، وقد تمر سنون وهو لم يُحاكم، ولا يموت حتى يمر بصنوف الأذى والعذاب".

سيرة الدكتور عبداﷻ الحامد تنبض بالحماس والوعي وتمد فارئها وتمثّلها بالطاقة والشحن اللازم للاستمرار على هذا الطريق الوعر، ثمة أمراً لا يعلمه العديد ممن يطلقون على أنفسهم نشطاء أو معارضين يريدون الانحراط في العمل الحقوقي والسياسي بعيداً عن التغريدات، بعضهم لا يؤمن إيماناً كافياً بأهمية العمل التطوعي وأخذة على محمل الجد، بعضهم لا يعرف من أين يستمد الناشط الآخر قدرته على الاستمرار بالعمل دون كلل أو ملل، لا يعلم أن الشغف، الإيمان بالقضية وتخصيم وقت كبير لإنجاز هذا العمل السامي، العمل على رفع الظلم ومفارقة المستبد عملاً لا يؤتى لكل "ناشط" مهما ادعى لا سيما إذا لم يكن لديه أي استعداد لتقديم لو القليل للدفاع عن الحقوق، ونصرة معتقل رأي يلقى الوان العذاب والانتهاكات يأت أحدهم ينظر عليك وينصحك بالتخفيف من العمل ويرى بأن رأيه هو الأمثل وهو لم يقدم شيئاً يذكر، والمستبد لا يهدأ يضرب بيد من حديد في كل لحظة!

هنا يحضر معلمنا عبداﷻ الحامد-رحمه الله- ماثلاً أمامي كمثالاً حي على قوة الإيمان بالقضية والعمل لأجلها حد فقدان الحياة.

وهو الذي يحثنا على الجهاد السلمي الذي يراه حاجة على الدوام وضرورة ويطلق على جهاد الاستبداد حتى الاستشهاد الجهاد المدني الأكبر.

وكما قال مُعلمنا عليه رحمتا   ورضوانه، الكلمات تهد طغيان التجبر والقهر، حتى يخرَّ الباطل أمام قوة الحق، وهذه المواقف لا بد من أن تثمر ولو تأخر الثمر.

اعملوا بجدٍ واجتهاد ولا تتأخروا عن تلبية نداء الحق، ولا تستهينوا بما تقدمونه من عمل ومن سار على الدرب وصل، فقط كن مؤمناً بقصيتك ولا تتراجع.

"والنهر يحفر مجراه"